



## بورتييه

جعفر البكلي \*

# ناصر السعيد

## نهاية رجل شجاع

المكان: بيروت الغربية  
الزمان: 17 كانون الأول 1979

خرج رجل متوسط القامة مسرعاً من المبنى الذي تقع فيه مكاتب جريدة «السفير». أجال ببصره في الطريق. سوى ياقة معطفه حول عنقه، فالطقس كان بارداً في ذلك اليوم الشتوي الغائم، ثم مضى في شارع أمين منيمنة يبحث خطاه نحو متاجر شارع «الحمراء» القريبة. كان راغباً في اقتناء بعض الهدايا لأسرته الصغيرة التي تركها في دمشق، منذ أيام... محافظته الجلدية المعتاة بأوراقه تتدلى من كتفه، وعيناه الحانقتان من خلف نظارته السوداء الكبيرة تتفّرسان في وجوه المارة من حوله. كان سبب حنقه صحافي فرنسي ألح في طلب موعد منه في مبنى جريدة «السفير»، ولكنه لم يجر... خواجات آخر زمن، هؤلاء الذين يخلّفون مواعيدهم ولا يعتذرون!

فجأة انتبه لخطوات مسرعة من ورائه تتسابق إليه. التفت، فرأى رجلاً ثلاثة يقتربون منه بسرعة. حاول أن يتعد عنهم لكن أحدهم أمسكه من كتفه. خاطبهم بقلق: «وش تريدون؟». أجابه أولهم بكلمة عفيفة. ورش الثاني على وجهه رذاذاً من شيء كأنه زجاجة عطر. غامت الدنيا من حوله، حتى أنه لم يستطع أن يقاوم أولئك الرجال الذين جرّوه إلى سيارة قريبة انطلقت به مسرعة إلى حيث لن يعود.

كان ذلك الرجل المخطوف هو المعارض السعودي ناصر السعيد. وكان الرجال الخاطفون من زعران جهاز الأمن العسكري الفلسطيني الذي كان يترأسه العقيد عطا الله عطا الله «أبو الزعيم» (1). ويقال إن الذي «غطى» هذه الجريمة هو أبو إياد. وأما المؤجّر، فلم يكن سوى السفير السعودي في بيروت علي الشاعر. ويُعتقد أن الأجر كان عشرة ملايين دولار وضعت في جيوب منظمة ياسر عرفات. في الغد، وصل نعش من السفارة السعودية إلى مطار بيروت لأجل شحنه في طائرة خاصة متجهة إلى الرياض. كانت الوثائق السعودية تزعم أن من برقد في النعش هي ابنة سفير المملكة في دمشق عبد المحسن الزيد، وأنهم يريدون نقل جثمانها إلى بلدها. صعد النعش إلى الطائرة راجعاً بمن رقد في جوفه إلى وطنه الذي لم يقدر له أن يراه، منذ 23 عاماً. أثناء الرحلة، قيل بأن النعش قد قذّف من الطائرة في سواحل لبنان (2). لكن العديد من المعارضين السعوديين يتداولون رواية أخرى تزعم أن ناصر السعيد وصل فعلاً إلى المملكة السعودية، وهناك عذب، ثم وُضع في هيلوكوبتر، وُرمي منها حياً في الصحراء.

المكان: مدرسة مدينة حائل - السعودية  
الزمان: مساء 11 كانون الأول 1953

شق شاب حاد النظرات بسيط الثياب صفوف المقاعد المتراصة التي جلس عليها أعيان قبيلته، وحاول أن يصل إلى المنصة التي كان يقعد فوقها ملك البلاد جالساً على أريكة ضخمة. وكانت المناسبة حفلاً أقامه وجهاء مدينة حائل في مدرستها، تكريماً لملك السعودية الجديد سعود بن عبد العزيز. وكان العاهل قد قدم إلى الإمارة الشمالية في مملكته لتلقي البيعة من زعماء قبيلة شمر التي تقطن تلك البقاع.

لم يكن الشاب سوى ناصر السعيد البالغ من العمر وقتها ثلاثين عاماً. ولقد أخذ يصرخ حين منعه الحراس من الاقتراب عله بلغت انتباه الملك إليه. وحين التفت إليه سعود، هتف الشاب قائلاً: «عندي كلمة يا طويل العمر، أبي ألقبها... حناً تعرف أنك ما جيت هني للسياحة وشم الهواء، لكن لأخذ البيعة. وفي هالكلمة



اشياء مهمة عن البيعة يلزمك سماعها». ولم يعد بالإمكان، وقد انتبه الناس، سوى أن يقول الملك: «تفضل... قول». وأخرج ناصر من سترته أوراقاً حصرها، وجلجل صوته في الحاكم والمحكومين قائلاً: «باسم الله، وباسم الحق... باسم العمال المعذبين، والفلاحين الذين أصبحوا فريسة للمرابين... باسم الجنود الظافرين، باسم البدو المشردين... باسم الشعب الذي حُرّم من نور العلم طويلاً يا طويل العمر... يا سعود بن عبد العزيز... دعني أناديك باسمك المجرد من الجلال والجلالة، فزخرف القول غرور... والذي لا يجله شعبه لا تجله الألقاب الزائفة، بل ولا يجله الله أبداً. إن رضى الشعب هو رضى الله! ولن يرضى الله سبحانه لمن لا يرضى عنه شعبه. لذا، أقول لك، يا سعود... هل تجشمت مصاعب الطرقات الخربة الوعرة وجئت لعندنا بقصد الدعاية لنفسك؟ ليس في مئات المدن والقرى والصحارى التي مررت بها إلا الفقراء الذين رأيتهم يمدون إليك أيديهم ضارعين من الفقر والجوع والمرض والجهل... لا يوجد علاج ولا معالج، ولا ماء نظيف، ولا دواء، ولا عمل، ولا مساكن تليق بالإنسان...»

بدا الاضطراب على وجوه القوم، والغضب على وجه الملك سعود من هذه الوقاحة. وأشار إلى ياوره الخاص العقيد محمد الذيب (رئيس حرس الملك) لكي يسكت هذا المعتوه، ويفتق منه الورقة التي بيده. وحينما أراد ناصر السعيد أن يحتج على هذا القمع الذي سلط عليه، بلغ الحنق بملك السعودية مبلغه، وراح يصرخ: «كفى... أنتم مجرمون، إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون... ويسعون... ويسعون...» وعلق لسان الملك في كلمة «ويسعون»، فلم يعرف كيف ينطق بقية الآية. ثم قام الملك من مجلسه غاضباً. وأراد واليه على حائل عبد العزيز بن مساعد بن جلوي أن يعتذر له، فقال له سعود: «الاحتفال

زين، بس هذا اللي اسمه ابن السعيد خزبه». كانت تلك الواقعة (التي سرد ناصر السعيد بنفسه تفصيلها في كتابه «تاريخ آل سعود» (3) هي أول مواجهة وجهاً لوجه بين المناضل الشاعر، وأحد ملوك آل سعود. ولم تكن تلك الشجاعة التي أبداهها ناصر أمام الملك عجيبة، فلقد تربى منذ صغره في أسرة مظلومة استشهد رجالها دفاعاً عن أرضهم، فقاوم من بقي من أفراد تلك العائلة الغرزة الظالمين. ونشأ الفتى في كنف جدته حسناء كارهها لمظاهر التعسف كافة، ولكل أشكال الطغيان. ثم إن وعي الشاب ما لبث أن فتتح على فداحة الاستغلال الرأسمالي لموارد وطنه، وعلى شناعة العنصرية التي يمارسها الأجانب الأميركيون على العمال من أهل

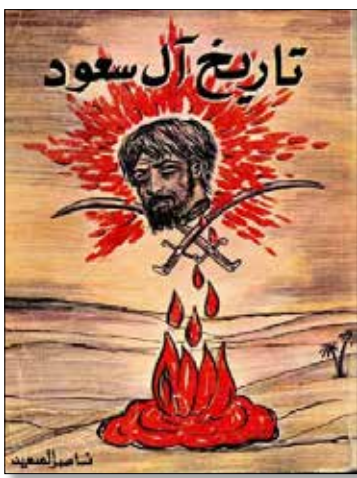
البلد، وعلى حجم تواطؤ الملوك الفاسدين مع المستعمرين الناهيين؛ ولقد حدث كل ذلك أمام عينيه حينما شاء له قدره أن يعمل في معسكرات شركة «أرامكو» الأميركية النفطية في الظهران، منذ 1947.

ولقد انخرط ناصر السعيد بحماسة في نضال العمال من أجل تحسين أوضاعهم المعيشية. وساهم في تنظيم صفوفهم وتوعيتهم، وتحريضهم على المطالبة بحقوقهم. فكان من أبرز قادة الإضرابات التي قام بها عمال «أرامكو» في نهاية الأربعينيات، وكان من الطبيعي أن يشمله الاعتقال من طرف السلطات السعودية نتيجة المطالبة بحقوق الكادحين. ولعل أسوأ تجربة للاعتقال يمكن أن يعيشها بشر، كانت حين التي بقيادة العمال المضربين (وبينهم ناصر) في سجن العبيد، في الإحساء، وكان ذلك سجنًا مخصصاً لتأديب المخلوقات الدنيا في سلم المجتمع السعودي الطبقي. على أن نضال ناصر لم يقتصر على الجانب الاجتماعي والاقتصادي، بل إنه شمل مبكراً الجانب السياسي أيضاً. فبعد قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، قاد ناصر مع رفاقه في ضحى يوم 17 أيلول 1947 تظاهرة في مدينة «رحيمة» لرفض التقسيم، والمطالبة بقطع النفط عن أميركا وبريطانيا. وسفوا تظاهرتهم هذه «يوم فلسطين». ويسرد ناصر السعيد في كتابه «حقائق عن القهر السعودي» كيف جاء تركي بن عتيشان أمير رأس تنورة إلى العمال المحتجين ليقتنعهم بأن النفط هو بيد الأميركيين، ولا أحد يستطيع قطعه عنهم. وحاججه العمال بأنهم إذا ضربوا عن العمل انقطع بالفعل إنتاج النفط. هنالك انتقل الأمير إلى «حجة فقهية» فقال لهم متذاكراً: «تدرون أن النفط هو مثل الذهب، واسمه الذهب الأسود. وربنا يقول في القرآن أن اكتناز الذهب حرام، فإذا خلدنا النفط في الأرض، وما خزجناه، فهذا هو الاكتناز المنهي عنه شرعاً. فيا جماعة الخير اتقوا الله».

المكان: استديو في إذاعة «صوت العرب» القاهرة

الزمان: كانون الأول 1962

«هنا إذاعة «صوت العرب» من القاهرة... تستمعون الآن إلى برنامج «أعداء الله» الذي يعده ويقدمه الأستاذ ناصر السعيد...» ويتدفق صوت ناصر من الإذاعة حاملاً على من يسميهم «آل سعود اليهود أعداء الله، وأولياء الشيطان»، فلا يبقى لهم ولا بذن. وحسب ما يقول ناصر السعيد فإن العائلة المالكة في السعودية ذات أصول يهودية،



ستعيد «الأخبار»، بدءاً من يوم غد، نشر مقتطفات من كتاب «تاريخ آل سعود» للمناضل العربي الشهيد ناصر السعيد، والهدف من وراء ذلك لفت انتباه القراء إلى هذا الكتاب الذي كان ولا يزال محظوراً ونشره وتوزيعه وتداوله في معظم البلاد العربية نتيجة سطوة آل سعود، وخشية الكثيرين من إغضابهم.

لقد اجتهدت «الأخبار» في تدقيق النص الأصلي. وفي أحيان قليلة، تدخلت لتقويم بعض التراكمات اللغوية أو إصلاح رسم بعض المفردات من دون أن تمس شيئاً من معانيها الأصلية. واضطرت «الأخبار» كذلك

إلى تجاوز بعض النعوت التي قد يكون فيها شبهة سب أو قذف ما. وقد حرصت على أن تبين لقراءها موطن الحذف في العلامة التالية (...). حتى يتبينوا ذلك. إن «الأخبار» لأسباب فنية صرفة، لا تستطيع نشر كتاب «تاريخ آل سعود» كله، فهو يبلغ 663 صفحة. لذلك فإنها انتخبت ما رآته أنسب، وأكثر صوابية. لكن هذا لا يمنع من أن نتيح لقارئنا الكرام رابطاً للنص الكامل للكتاب، لمزيد من تعميم الفائدة.

عناوين الحلقات التي ستنتشر تباعاً هي:

1. عندما زعم محمد بن عبد الوهاب أن آيته من الله الجراد:
2. آل سعود يأكلون بعضهم:
3. عبد العزيز والحدود والزور والإنكليز
4. الشريعة السعودية
5. آل سعود يمحون آثار النبي في مكة
6. تاريخ أبناء عبد العزيز